

## سوريا

يكشف الوضع في سورية عن شلل النظام الدولي الحالي في مواجهة الصراعات الداخلية، والأزمات الكبرى. كما يظهر الاستخفاف بالشواغل الإنسانية بالمقارنة بالحسابات والأهداف السياسية الضيقة. تستمر الكارثة الإنسانية في سوريا للعام الخامس، بما أسفر عنها من قتل نحو ربع مليون إنسان، وأصبح ما يقرب من نصف السكان المدنيين السوريين (أي ٥ مليون إما مشردين في الداخل أو لاجئين خارج البلد).<sup>١</sup> وقد صعّدت الأطراف المتحاربة خلال عام ٢٠١٥ من الأعمال العسكرية، بما في ذلك في المناطق المدنية مما تسبب في وقوع خسائر كبيرة في الأرواح وأعداد كبيرة من النازحين في صفوف المدنيين. وعلى جانب قوى النظام، تسبب التكتيك المروع لاستخدام الدراميل المتفجرة فوق المنشآت المدنية،<sup>٢</sup> بما في ذلك الأسواق

---

١ - مكتب الأمم المتحدة لتنسيق المساعدة الإنسانية، استعراض الأزمة السورية، متاح على الموقع:  
<http://www.unocha.org/syrian-arab-republic/syria-country-profile/about-crisis> .

٢ - انظر في هذا الصدد، على سبيل المثال،  
<https://www.amnesty.org/en/latest/news/2015/05/syrias-circle-of-hell-barrel-bombs-in-aleppo/> .

والمدارس والمستشفيات في المناطق التي تسيطر عليها المعارضة، في وقوع أعداد كبيرة من الضحايا. وذلك بالإضافة إلى الاستخدام المكثف والواسع للاعتقال التعسفي،<sup>٣</sup> وحصر السكان المدنيين،<sup>٤</sup> وغير ذلك من أشكال الجرائم مثل العنف الجنسي.<sup>٥</sup>

كما ارتكبت الجماعات المسلحة المختلفة هي الأخرى جرائم دولية خطيرة، بما في ذلك الهجمات العشوائية في المناطق الأهلة بالسكان المدنيين والعنف الجنسي والقتل على أساس عرقي.<sup>٦</sup> وباختصار، استمرت جميع الأطراف المتحاربة في معارك كسر للعظام، دون أن تبدو هناك نهاية في الأفق. وبحلول الصيف، كان معظم الأطراف المعنية، بما في ذلك مسؤولي الأمم المتحدة، متفقين على أنه لا يوجد بديل عن الحل السياسي في سوريا.<sup>٧</sup> وأصبح جلياً، في واقع الأمر، أنه ليس بمقدور أي طرف أن يسيطر تماماً على الطرف الآخر، وأن يضع حداً للصراع عن طريق الحرب. وزاد تطرف جزء كبير من الجماعات المسلحة في سوريا وتوسع "الدولة الإسلامية في العراق والشام" (داعش) من تعقيد الوضع في سوريا.

من ناحية أخرى بدأت جهود العملية السياسية التي تولاها ستيفن دي مستورا، المبعوث الخاص للأمم المتحدة الذي عُين منذ يولييه ٢٠١٥، ولكن دون أي أمل حقيقي في التوصل إلى نتائج.<sup>٨</sup> فمختلف الاجتماعات الدبلوماسية بين الدول انتهت بلقاء بين دي مستورا ووزير خارجية الولايات المتحدة جون كيري ووزير خارجية النمسا لبدء جولة جديدة من المحادثات بين جميع الدول المعنية التي تجمعت تحت اسم مجموعة الدعم الدولية لسوريا دون أي تمثيل

٣- انظر، على سبيل المثال،

[http://euromedrights.org/wpcontent/uploads/2015/06/EMHRN\\_Womenindetention\\_EN-FINAL.pdf](http://euromedrights.org/wpcontent/uploads/2015/06/EMHRN_Womenindetention_EN-FINAL.pdf) .

٤- انظر، على سبيل المثال،

<http://syriaundersiege.org/> .

٥- انظر، على سبيل المثال، تقرير لجنة التحقيق الدولية المستقلة المعنية بالجمهورية العربية السورية المؤرخ ١٣ آب/أغسطس ٢٠١٥، متاح على الموقع:

<http://www.ohchr.org/EN/HRBodies/HRC/IICISyria/Pages/Documentation.aspx> .

٦- <http://www.un.org/sexualviolenceinconflict/countries/syrian-arab-republic/> .

٧- انظر،

<http://www.un.org/apps/news/story.asp?NewsID=41359#.Vp4ECfnhDIU> .

٨- انظر صحيفة الغارديان:

<http://www.theguardian.com/world/2015/jul/30/staffan-de-mistura-man-with-toughest-job-in-world-syria> .

سوري في فيينا.<sup>٩</sup> وكان التغيير الرئيسي الآخر الذي حدث في الربع الأخير من عام ٢٠١٥ هو التدخل العسكري الروسي في سوريا. وأسفر إعلان الروس المفاجئ زيادة تدخلهم في الجبهة السورية عن درجة كبيرة من التكهات والتعليقات.<sup>١٠</sup> وفي ٣٠ سبتمبر، دعا النظام السوري رسمياً الجيش الروسي إلى التدخل في سوريا. وزعمت الحكومة الروسية أن الغرض من هذا التدخل هو محاربة الإرهاب. غير أن ثمة اتهامات للجيش الروسي بتركيز أنشطته حول معازل المعارضة المعتدلة التي تسعى إلى إسقاط النظام.<sup>١١</sup>

### الأوضاع الإنسانية التي يعيشها السوريون:

يواجه السوريون أوضاعاً متدهورة بشكل خطير، سواء داخل البلد أو خارجه كلاجئين. ولا يدعي هذا التقرير أنه شامل لجميع انتهاكات حقوق الإنسان التي يواجهها السوريون، بل إنه يسلط الضوء على الأنماط الرئيسية في مناطق النظام، والمناطق الخاضعة لسيطرة الجماعات المسلحة، وبين اللاجئين.

### المناطق الخاضعة لسيطرة النظام:

تظهر مجموعة الصور [التي كشفها السوري الهارب المعروف باسم] "القيصر" Ceasar مدى إجرام النظام السوري. فمنذ اندلاع الثورة السورية، مضى النظام بعيداً جداً في محاولة إخماد أي إمكانية للمعارضة السلمية لقبضتها الاستبدادية. فحدثت موجات واسعة النطاق من الاعتقالات والتعذيب والقتل خارج نطاق القضاء.<sup>١٢</sup> ويواصل النظام ملء سجونته بناشطي

٩- انظر، على سبيل المثال،

<http://www.theguardian.com/world/2015/oct/30/syria-peace-talks-vienna-iran-saudi-arabia> .

١٠- انظر، على سبيل المثال، <http://carneгиеndowment.org/syriaincrisis/?fa=62207> .

١١- انظر، على سبيل المثال،

<http://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/russia-in-syria-us-and-turkey-claim-russian-warplanes-hitting-moderate-syrian-rebel-groups-a6685496.html> .

١٢- انظر، على سبيل المثال،

<https://www.hrw.org/report/2015/12/16/if-dead-could-speak/mass-deaths-and-torture-syrias-detention-facilities> .

المجتمع المدني. وتتردد مزاعم بأن الاعتقالات لا تقتصر على الناشطين وحدهم، بل تمتد أحيانا إلى عائلات بأكملها، بما في ذلك الأطفال، حيث يختفون ويُعتقلون قسرا في سجون النظام. وتواجه مناطق النظام هي الأخرى أوضاعا اقتصادية متدهورة،<sup>١٣</sup> بما في ذلك ارتفاع معدلات التضخم، واكتظاظ المدن بالمشردين داخليا الذين يتعذر استيعابهم نتيجة لارتفاع معدلات البطالة، بالإضافة إلى محدودية فرص الحصول على الطاقة، بما يزيد من صعوبة أوضاع الحياة يوما بعد يوم، حتى في المناطق الخاضعة لسيطرة النظام التي كانت تحافظ على شيء من الحياة الطبيعية خلال السنوات الثلاثة الماضية.

### المناطق الخاضعة لسيطرة المعارضة المسلحة:

على المرء أن يذكر بأن معظم المناطق الخاضعة لسيطرة المتمردين تتألف من مجتمعات ريفية مهمشة سابقا، حيث لم تكن في أي وقت من الأوقات من المناطق ذات الأولوية للتنمية بالنسبة لنظام الأسد على مدار السنوات الأربعين الماضية.<sup>١٤</sup> وخلال كل سنوات الصراع، دأب النظام على معاقبة هذه المناطق المنشقة بعمليات الحصار للتجوع والقصف الجوي، بما في ذلك استخدام البراميل المتفجرة وغير ذلك من أشكال الهجمات العشوائية. وبالإضافة إلى ذلك، تواجه المناطق الخاضعة لسيطرة المعارضة شكلا آخر من أشكال انتهاكات حقوق الإنسان نظرا للطابع الديني المفرط للحكم. فهو ليس حكم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" (داعش) فقط، بل أيضا معظم المناطق الخاضعة لسيطرة جبهة النصرة والجماعات المعارضة الأخرى، بما في ذلك بعض من يُعتبرون "معتدلين"، مثلما في مناطق أحرار الشام وجيش الإسلام. ففي

١٣- انظر، على سبيل المثال،

[https://www.washingtonpost.com/world/middle\\_east/syrias-assad-regime-cuts-subsidies-focuses-ailing-economy-on-war-effort/2014/11/29/5f830894-719c-11e4-a2c2-478179fd0489\\_story.html](https://www.washingtonpost.com/world/middle_east/syrias-assad-regime-cuts-subsidies-focuses-ailing-economy-on-war-effort/2014/11/29/5f830894-719c-11e4-a2c2-478179fd0489_story.html) .

١٤- انظر، على سبيل المثال،

[http://www.unrwa.org/sites/default/files/alienation\\_and\\_violence\\_impact\\_of\\_the\\_syria\\_crisis\\_in\\_2014\\_eng.pdf](http://www.unrwa.org/sites/default/files/alienation_and_violence_impact_of_the_syria_crisis_in_2014_eng.pdf)

هذه المناطق، تحدث أعمال الاعتقال التعسفي والاختفاء القسري لناشطي حقوق الإنسان والعنف الجنسي وغيره من أشكال الانتهاكات في غياب أي شكل من أشكال المساءلة.<sup>١٥</sup>

## اللاجئون السوريون:

كانت صورة الطفل الكردي إييلان الملقى على شواطئ التركية واحدة من أبرز لحظات الاهتمام بالأزمة السورية في عام ٢٠١٥.<sup>١٦</sup> والعدد المتزايد من السكان السوريين المضطربين للفرار من البلد آخذ في الازدياد فقط بسبب أوضاع الحياة الفظيعة.<sup>١٧</sup> ووُجِعت إلى كل بلدان الجوار التي التمس اللاجئون الأمان فيها في السنوات الأولى من الصراع انتقادات لتعرض السكان اللاجئين إليها لمختلف أشكال الانتهاكات.<sup>١٨</sup> غير أن العديد من الانتهاكات تتعلق بالعدد الكبير من المجتمعات التي تستضيفها البلدان، التي تدعي عدم قدرتها على استيعاب هذه الأعداد.<sup>١٩</sup> ودفع ذلك معظم المنظمات إلى الدعوة لدعم هذه الدول.<sup>٢٠</sup> ولكن حتى بعد التعهدات الواسعة من الدول لهؤلاء اللاجئين، يظل هناك الكثير من الانتقاد لسوء المعاملة.

١٥- انظر تقرير لجنة التحقيق الدولية المستقلة المعنية بالجمهورية العربية السورية، أغسطس ٢٠١٥.

١٦- انظر، على سبيل المثال،

<http://www.independent.co.uk/news/world/europe/aylan-kurdi-s-story-how-a-small-syrian-child-came-to-be-washed-up-on-a-beach-in-turkey-10484588.html> .

١٧- انظر، على سبيل المثال،

[http://data.unhcr.org/syrianrefugees/regional.php#\\_ga=1.228172062.246526338.1453198143](http://data.unhcr.org/syrianrefugees/regional.php#_ga=1.228172062.246526338.1453198143) .

١٨- بالنسبة لتركيا، انظر، على سبيل المثال،

<http://www.theguardian.com/world/2015/nov/27/amnesty-international-turkey-syrian-refugees-human-rights-abuse> ؛

وبالنسبة للبنان، انظر، على سبيل المثال،

<https://www.hrw.org/news/2014/09/30/lebanon-rising-violence-targets-syrian-refugees>

وبالنسبة للأردن، انظر، على سبيل المثال،

<http://resourcecentre.savethechildren.se/library/gender-based-violence-and-child-protection-against-syrian-refugees-jordan-focus-early> .

١٩- انظر، على سبيل المثال،

<https://www.foreignaffairs.com/articles/jordan/2015-09-28/syrias-good-neighbors> .

٢٠- انظر، على سبيل المثال،

وفي الآونة الأخيرة، قررت الكتلة الغربية قبول عدد معين من هؤلاء اللاجئين الذين يصلون إلى شواطئها، ومنحهم وضعاً قانونياً. وقد بدأت هذه المبادرة في ألمانيا، ولكن لم يتبعها سوى عدد قليل من الدول، بما في ذلك خطة الاستجابة العامة للاتحاد الأوروبي.<sup>٢١</sup> ومؤخراً، استضافت كندا بعض اللاجئين.<sup>٢٢</sup> وتعهدت الحكومة الأمريكية أيضاً باستضافة عدد معين من اللاجئين.<sup>٢٣</sup> غير أنه لوحظت بعض أشكال الانتهاكات للاجئين السوريين في عام ٢٠١٥. ففي هنغاريا، على سبيل المثال حيث تم استضافتهم، تعرض بعضهم للضرب والانتهاكات من جانب الشرطة.<sup>٢٤</sup> وبالإضافة إلى ذلك، أثارت الأنباء الواردة مؤخراً من الدانمرك عن الرغبة في مصادرة منقولاتهم القيمة شيئاً من الدهشة.<sup>٢٥</sup> وبالإضافة إلى ذلك، تهدد المناقشات الدائرة في الولايات المتحدة حول اللاجئين السوريين وارتباطاتهم بالتطرف العنيف أيضاً بوقف قرار الإدارة الأمريكية باستضافة اللاجئين.<sup>٢٦</sup> وقد دفعت أزمة اللاجئين المجتمع الدولي بدرجة أكبر لمعالجة الأسباب الجذرية بما ينهي الصراع في سوريا.

## أفاق الحل السياسي في سوريا:

تحول الصراع في سوريا من كونه صراعاً داخلياً إلى صراع يهم أطرافاً دولية وإقليمية رئيسية. ففي المنظور الدولي، وجدت روسيا في دعمها للنظام فرصة جيدة للهروب من أزماتها

---

٢١- انظر أعداد اللاجئين الذين تعهدت كل دولة من دول الاتحاد الأوروبي بقبولهم: <https://www.amnesty.org/en/latest/news/2015/11/g20-must-pull-uturn-on-refugee-response/>

٢٢- انظر، على سبيل المثال، <http://www.resettlement.eu/sites/all/modules/pledgemap/index.html> .

٢٣- انظر، على سبيل المثال، <http://www.unhcr.org/566ad0029.html> .

٢٤- انظر، على سبيل المثال، <http://www.theguardian.com/us-news/2015/nov/26/obama-americans-welcome-syrian-refugees-pilgrims> .

٢٥- انظر، على سبيل المثال، <http://www.theguardian.com/world/2015/sep/07/syrian-refugees-hungary-camp-cold-hungry> .

٢٦- انظر، على سبيل المثال، <http://www.independent.co.uk/news/world/europe/refugee-crisis-denmark-wants-to-seize-jewellery-and-cash-from-asylum-seekers-a6777146.html> .

٢٦- انظر، على سبيل المثال، <https://www.rt.com/usa/322747-house-senate-syrian-refugees/> .

الداخلية المتعلقة بالجزءات الناتجة عن ضم شبه جزيرة القرم والهجوم العسكري على أوكرانيا. أما من وجهة نظر الكتلة الغربية، فيمثل تغيير النظام في سوريا فرصة جيدة لإضعاف التحالف المؤلف من إيران والعراق وسوريا، مروراً بحزب الله في جنوب لبنان، وحركة حماس التي تسيطر على قطاع غزة. وعلى الصعيد الإقليمي، تقف سوريا اليوم في قلب الصراع الطائفي والمنافسة بين القوى الإقليمية. فتركيا والسعودية وقطر تسعى إلى قيام نظام موالي للسنة، في حين تسعى إيران والعراق لإبقاء سوريا داخل منطقة النفوذ العلوية الشيعية.<sup>٢٧</sup>

وبالنسبة لكل هذه الأطراف، تمثل سوريا مصالح عليا ليست مستعدة للتخلي عنها. غير أنه يبدو أن الهجوم الذي قامت به داعش في باريس قد وُدد ضغطاً إضافياً على الكتلة الغربية على الأقل، التي أصبحت تشعر بضرورة تنحية الخلافات مع روسيا لوضع حد للتهديد الإرهابي، وللسيطرة على انتشار المنطريين الجهاديين وتدفق اللاجئين.<sup>٢٨</sup> الأمر الذي نتج عنه عقد جولات جديدة من المفاوضات لإيجاد حل سياسي، ولكن يتعين أن يتساءل المرء عن مدى جدية وجهات النظر المطروحة للخروج فعلاً من المأزق الحالي، بالنظر إلى أن المصالح المختلفة لا تزال تغذي الصراع فيما يبدو.

وجاء القرار ٢٢٥٤ الذي اتخذه مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في ١٨ ديسمبر ٢٠١٥ بتوافق الآراء بين أعضاء مجلس الأمن الخمسة عشر تنويجا لجولات مفاوضات مجموعة الدعم الدولية لسوريا التي بدأت في فيينا في ٣٠ أكتوبر.<sup>٢٩</sup> ويسلط القرار الضوء على ما تم الاتفاق عليه، بينما يلزم الصمت إزاء الملفات التي لا تزال محل خلاف. ويهدف القرار إلى العمل على خريطة طريق للانتقال السياسي في غضون ١٨ شهرا من اعتماد القرار وكفالة التوصل إلى وقف لإطلاق النار بين الأطراف المتحاربة.

---

٢٧- لفهم وضع سوريا كحرب بالوكالة بدرجة اكبر، انظر، على سبيل المثال،  
<https://www.middleeastmonitor.com/articles/middle-east/17515-syria-proxy-war-not-civil-war> .

٢٨- انظر، على سبيل المثال،  
<http://www.haaretz.com/middle-east-news/.premium-1.686286> .

٢٩- انظر:  
<http://www.un.org/press/en/2015/sc12171.doc.htm> .

وكانت محادثات فيينا قد توصلت إلى توافق كبير على أرضية مشتركة بشأن ضرورة مكافحة داعش والجماعات الأخرى التابعة لتنظيم القاعدة، وبخاصة جبهة النصرة. وجرى التشديد على خطورة انتشار التنظيمات المتطرفة في سوريا في القرار ٢٢٥٣، الذي اتسم إلى حد كبير بطابع تقني، والذي اعتمد في نفس يوم القرار المتعلق ببناء السلام في سوريا.<sup>٣٠</sup> على الدقة مجلس الأمن الدولي. وكان قرار مجلس الأمن الدولي ٢٢٥٣ قرارًا غير مسبوق من حيث تطرقه للمسؤولية الواقعة على الدول الأخرى فيما يتعلق بدعم الجماعات والمليشيات المسلحة، ومن حيث تضمنه قائمة بالتدابير المتخذة بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، وهو الشكل الأكثر إلزامًا للقانون الدولي، بما في ذلك الامتناع عن تمويل الجماعات الإرهابية، وتجميد الأصول، وحظر توريد الأسلحة، وتبادل القوائم والمعلومات بين الدول الأعضاء بشأن أعضاء وأنشطة تلك الجماعات.

كما مهدت جولة فيينا للمفاوضات حول سوريا الطريق لخطوتين تاليتين: أولاً، مؤتمر الرياض الذي استضاف جماعات المعارضة بغية توفيق مواقفها للمشاركة في الجولة القادمة من المحادثات بين السوريين.<sup>٣١</sup> كما اتفق على عقد اجتماع لخبراء الأمن في العاصمة الأردنية يُكلف بمهمة تصنيف الجماعات المسلحة في سوريا، وتحديد من ينبغي اعتباره جماعة إرهابية.<sup>٣٢</sup> وفيما يتعلق بوقف إطلاق النار، طالب المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة بإنشاء آلية رصد لمراقبة التقدم المحرز في هذا الجانب، كما مارس ضغطاً على جميع الأطراف لاستخدام نفوذها لدى الأطراف المتحاربة لكفالة امتثالها لوقف إطلاق النار.<sup>٣٣</sup>

وبغض النظر عن هذا التقدم، لا يزال الكثير من الشكوك يحيط بمدى جدية الرؤية التي تتطلع لإنهاء الأزمة السورية في المستقبل القريب. وكانت طريقة استقبال المعارضة السورية

٣٠- انظر:

<http://www.un.org/press/en/2015/sc12168.doc.htm> .

٣١- انظر، على سبيل المثال،

<http://www.wsj.com/articles/syrian-opposition-groups-hold-talks-in-riyadh-1449683546> .

٣٢- انظر، على سبيل المثال،

<http://www.jordantimes.com/news/local/jordan-says-terror-list-be-out-right-time%E2%80%999> .

٣٣- ترد ولاية آلية الرصد هذه في القرار ٢٢٥٤ لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

للقرار كاشفة بشكل خاص لمدى هشاشة هذا التوافق الدولي الأولي وللتحديات التي سيواجهها تطبيقه.<sup>٣٤</sup> ويتمثل أشد انتقاد موجه للقرار في أنه لا يتناول على الإطلاق مستقبل النظام الحالي ورئيسه الأسد. وفي الحقيقة، فإن عملية فيينا لا تقطع شوطا بعيدا في تحديد الطريقة التي تؤدي بها الفترة الانتقالية إلى السلام والاستقرار في سوريا، وكيف ستُنَفَّذ على أرض الواقع. ويبدو أن المجتمع الدولي لا يزال عالقا في نفس إطار بيان جنيف الصادر عام ٢٠١٢، الذي كان يقوم على ثلاث نقاط رئيسية: وقف إطلاق النار، ووضع دستور وتشكيل حكومة انتقالية، ثم يلي ذلك إجراء انتخابات حرة.<sup>٣٥</sup>

ويظل الشك الرئيسي يتمثل في التساؤل: إذا كانت هذه النقاط نفسها تدخل في إطار الاتفاق منذ عام ٢٠١٢، فما الذي يجعلها اليوم أكثر قابلية للتحقق مما كانت عليه من قبل. ففي واقع الأمر، يظل الانقسام بشأن مصير الأسد هو ما يشل أي تنفيذ لذلك الإطار. وقد يؤدي رفض رأس النظام التخلي عن السلطة، بدعم من حليفه الرئيسيين إيران وروسيا، إلى انتهاء هذه العملية إلى نفس مصير جولات المحادثات التي سبقتها. وثمة شك آخر يحيط بهذا الاتفاق الذي تم التوصل إليه مؤخرا، وهو عدم التوصل إلى اتفاق بشأن أي الجماعات يمكن أو لا يمكن اعتبارها جماعات إرهابية على أرض الواقع في سوريا؟ ففي الحقيقة، كان مؤتمر الرياض يضم بين المشاركين فيه ما لا يقل عن اثنتين من الجماعات المثيرة للجدل للغاية التي يُدعى أنها ارتكبت جرائم دولية، والمعروفة بطبيعتها الدينية المتشددة والمعادية للديمقراطية بالقول والفعل على حد سواء.<sup>٣٦</sup> وهناك رابط مشترك يجمع بين العنصرين الغائبين في الاتفاق المبدئي: إحجام المجتمع الدولي عن الاعتراف بأنه بدون مساهمة، لا يمكن أن تكون هناك عدالة للسوريين، وبالتالي لا سلاما دائما.

٣٤- انظر، على سبيل المثال،

<http://europe.newsweek.com/did-riyadh-conference-move-syria-towards-peace-408229?rm=eu> .

٣٥- انظر، على سبيل المثال،

<http://www.voltairenet.org/article189701.html> .

٣٦- انظر، على سبيل المثال،

<http://www.theglobeandmail.com/news/world/saudi-arabia-to-host-syrian-opposition-meeting-ahead-of-peace-talks/article27609462/> .

## المحاسبة: البعد الغائب في التفاوض حول مستقبل سوريا:

يؤدي غياب التوافق بين الأطراف الرئيسية من المجتمع الدولي الفاعلة في سوريا إلى ترجيح عنصر التشاؤم فيما يتعلق بآفاق حل الأزمة الإنسانية في سوريا ومعالجة مسبباتها الرئيسية. إذ أنه من الملحوظ بشكل خاص أن المجتمع الدولي يظهر استعداداً أكبر للاعتراف بالمسؤولية الكاملة للأطراف الثالثة عندما يتعلق الأمر بمجموعات توصف بأنها إرهابية، بينما لا توجد أي نية لممارسة أي شكل من أشكال الردع للأطراف المتحاربة الأخرى، أو وضع الجرائم المرتكبة بين يدي العدالة. ويبدو ذلك ملحوظاً بدرجة أكبر إذا علمنا أن معظم الضحايا السوريين واستمرار تدفق اللاجئين والمشردين داخلياً إنما يرجع إلى ممارسات نظام بشار الأسد.. فليس ثمة شك تقريباً في أن تنفيذ الاتفاق يستلزم تحي الأسد إن عاجلاً أو آجلاً.

وبعيداً عن الاعتبارات العملية، فإن كفالة المساءلة عن الانتهاكات الخطيرة للقانون الإنساني الدولي والقانون الدولي لحقوق الإنسان أمر يدخل ضمن الالتزامات الدولية لكافة الدول. والتحقق في انتهاكات القانون الإنساني الدولي ومقاضاتها وتوفير سبل الانتصاف منها هو التزام رئيسي للدول في حالات الانتهاكات الخطيرة وفقاً للمادة (١) المشتركة بين اتفاقيات جنيف الأربع. وفي السياق السوري، يقع هذا الالتزام على عاتق المجتمع الدولي للدول الذي أخفق حتى الآن في اتخاذ إجراءات فعالة للمساءلة عن الفظائع الجماعية المرتكبة.

واستمرار الإفلات من العقاب على الجرائم الدولية لا يقتصر فقط على تحريض الأطراف على مواصلة تجاهل معاناة الإنسان في سوريا. فتفعيل مختلف آليات المساءلة في الولايات القضائية المحلية والإقليمية والدولية، الموجهة ضد الأفراد والسلطات المتورطة بشكل مباشر أو غير مباشر في ارتكاب انتهاكات خطيرة للقانون الدولي، من شأنه أن يخلق تأثيراً رادعاً للأفراد والدول التي تسعى إلى التورط بالمشاركة في أعمال غير مشروعة دولياً. وينبغي أن تتعاون الدول لإنشاء شبكة لتبادل المعلومات تسمح بالتعاون الجنائي والقضائي في الجهود المبذولة لمحاكمة الأفراد المتورطين في أنشطة إجرامية في سوريا. كما يمكن أيضاً تفعيل آليات التعاون القضائي التي أنشئت لمكافحة الإرهاب بموجب القرار ٢٢٥٣ لمتابعة كل الجناة المتورطين في القتال.

وبدلا من التركيز على ردع الأطراف المتحاربة، أصبح الوضع على الأرض أكثر تعقيدا في واقع الأمر، خاصة في ظل تكثيف التدخل العسكري الأجنبي في سوريا. وتتوفر اليوم أدلة محتملة كافية على ارتكاب القوات الروسية انتهاكات خطيرة للقانون الإنساني الدولي في سوريا، وتتردد اتهامات للجيش الروسي باستهداف مواقع المدنيين.<sup>٣٧</sup> وبالإضافة إلى ذلك، هناك أيضا ادعاءات بارتكاب قوات التحالف انتهاكات للقانون الإنساني الدولي تستهدف المناطق التي تسيطر عليها داعش في شرق سوريا.<sup>٣٨</sup>

وقد بلغت الأزمة السورية درجة من الدموية والتدمير تفوق أي مكان آخر وصله الربيع العربي. غير أن الأسباب الجذرية التي أوصلت الوضع إلى هذا الحد من التدهور لا تختلف كثيرا عن أسباب الاضطرابات في الأماكن الأخرى. فقد أخفقت حقبة ما بعد الاستعمار في تحقيق دولة المواطنة الحقيقية، وهو ما بلغ ذروته بالتمييز وتشجيع الطائفية. وعلى مدار ٤٠ عاما، أسس نظام الأسد، في واقع الأمر، سلطته السياسية والاجتماعية والاقتصادية على قلة من الموالين له، وبخاصة من يشاركونه انتمائه الطائفي. وخلق ذلك غضبا بالغ العمق وإحساسا بالظلم على مدى السنوات، وبخاصة لدى الأغلبية السنية.

وأدى حجم عسكرة الصراع، بسبب قمع النظام المتصاعد للحركة المدنية، إلى خروج هذه الأحقاد الخفية القديمة إلى النور. ولم يسفر الدعم الذي تلقتة الجماعات المسلحة من بعض الأطراف في المنطقة، مثل المملكة العربية السعودية وقطر وإيران، إلا عن تعميق الانقسام الطائفي. وأي حل يهدف إلى الحفاظ مستقبلا على تعايش دائم في بلد شديد التنوع مثل سوريا يجب أن يكفل أخذ تطلعات كل الفئات وتمثيلها العادل بعين الاعتبار. كما ينبغي اتخاذ تدابير لضمان عدم حدوث أعمال انتقامية من جانب الجماعات العرقية أو الدينية ضد بعضها البعض، بما في ذلك عن طريق نشر قوات دولية إذا ظلت هذه المخاطر قائمة. وبغض النظر

٣٧- انظر، على سبيل المثال،

<http://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/amnesty-report-russia-directly-targets-civilians-in-syria-killing-at-least-200-in-possible-war-a6783271.html>.

٣٨- انظر، على سبيل المثال،

<http://www.aljazeera.com/news/2015/11/syrians-insane-nights-french-bombing-151117052945111.html> .

عن الشكوك الكبيرة في إمكان النجاح في حل القضايا المعقدة العالقة، فإن الزخم الحالي للإرادة الدولية يوفر أملا طفيفا في أن العام المقبل سوف يقربنا قليلا من سوريا مستقرة وسلمية وديمقراطية في المستقبل.